

خصائص نحو المرحلة

إذن لم يكن ابن مالك ممن اعترضوا على النحو العربي وأسسوا أصوله بل يعدّ ممن اعترضوا على وسائل إفهامه وما هذه المنظومة التي أنشأها إلا وسيلة أما عن علم النحو نفسه وقواعده فقد اتبع ابن مالك فئة العلماء الذين تلو سيبويه فهؤلاء النحاة وغيرهم حين ألفوا في النحو بعيداً عن كتاب سيبويه كانوا يدورون في فلكه، منهم الذين زادوا كثيراً من تحديد مقاصد النحو، وتبين صورته ولكنهم لم يكادوا يضيفون إليه شيئاً ذا بال من الملاحظات الهامة والأنظار الجديدة^(١) كل ما طرأ على الدراسة النحوية من تطور على أيديهم كان تطوراً في الشكل لا في الجوهر في نظام التأليف لا في موضوع التأليف في أسلوب معالجة القضايا لا في القضايا نفسها^(٢) نرى ذلك واضحاً في المقتضب للمبرد الذي يكاد ينحصر ما أضافه للدرس النحوي في أمرين: محاولة استخلاص القاعدة النحوية والتركيز عليها وإبراز كيانها ثم ظهور بواكير المصطلحات النحوية المصقولة والصياغات العلمية المتطورة^(٣) وكذلك في كتاب المفصل للزمخشري الذي تميز بمنهجه المبتكر في تصنيف المادة النحوية الموروثة على أساس النظرة الشاملة حيث قسمها تقسيماً رئيسياً: أسماء وأفعال وحروف ومشتراك: هذا هو الجديد لديه أما معالجة المادة نفسها داخل كل قسم فليس فيها جديد ذو قيمة.

بدأ الزمخشري كتاب المفصل بفصل وضح فيه معنى الكلمة والكلام ثم تناول الأقسام الأربعة من كتابه:

القسم الأول: وهو الخاص بالأسماء ذكر فيه تعريف الاسم وخصائصه وأصنافه، وأصنافه هي:

١- اسم الجنس.

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ١٣٥، ترجمة د/ عبد الحلیم النجار، القاهرة،

١٩٦٨م.

(٢) حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٦٢، القاهرة ١٩٧٠م.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٨، ٦٩.